أهديتني حقل رُمَّان

هلا الشروف، فلسطين

سأقولُ الحقيقة

سأقولُ الحقيقة، ولا شيءَ غير الحقيقة:
منذُ ذلك اليوم الذي رأيتُكَ تنسابُ فيه من الشقوقِ عرفتُك.
كانت الشمسُ تختفي في حجابٍ من الغيم،
وكنتُ بلا حائطٍ أو وتد،
خيمتي طارتْ مع الريح، وكنتُ مُستوحِدةً ومُستوحِشة.
أبرَقَتْ وأرعَدَتْ، وسالتْ مياهٌ على كلِّ شيءٍ،
تبلَّلْتُ حتى ذابَ ملحي، ولم يعُد لي مفرٌّ من الماءِ سوى الماء.
قلتُ: اسبحي!
استدقَّ عودي ورقَّ جلدي، وهِمْتُ.
القشعريرةُ لازمتني، ووخزٌ على باب صدري، وفراشةٌ طارتْ في دمي،
وصرتُ أهذي،
أنادي ولا أجدُ، أمشي ولا أصلُ.
أنا إن سمعتُكَ، ماذا سأسمع؟
يومانِ في الطين، والمارُّونَ بي يرونَ جذعي يكادُ يئنُّ من وطأةِ الريح،
وأنا أرى الليلَ والنجمَ مفاتيحَ للأُنسِ،
وأرى ما وراءَ الجبالِ مغاليقَ للشَّك.
قلتُ: احدِسي!
وغرزتُ حدسيَ في الطينِ إلى جانبي،
ودَلَقتُ ماءً علينا كِلَينا،
المارُّون بنا رأوا جذعَينِ كادا يطيحانِ من ثِقَلِ السواد،

ونحنُ رأينا السكونَ مداخِلَ للنور،
ورأينا ما تحتَ جِذعَينا مخارجَ للأسى.
أنا إن رأيتُكَ ما الذي سأراه؟
سأقولُ الحقيقة، ولا شيءَ غير الحقيقة:
منذُ ذلكَ اليوم الذي قلتُ لكَ فيه: كُنْ! كُنتَ،
وتقشَّفْتُ في كلِّ شيءٍ سوى في الكلام:
الكلامُ بحرٌ أقفزُ فيه،
الكلامُ داءٌ أداويهِ بالكلام،
الكلامُ دواءٌ أستطبُّ به،
الكلام ترابي الذي أزرعهُ بما أشاء، فينبتُ ما أشاء،
وأسقيهِ بالماءِ وأقطفُهُ،
الكلامُ هائمٌ على وجهه فأدُلُّهُ إلى الكلام،
الكلامُ ماءٌ أدلُقُهُ في فتحةِ الروح فتتّسع،
الكلامُ فتحةٌ في الروح أدلقُ فيها الماءَ فيزهر،
الكلامُ بابٌ ومفتاحٌ،
الكلامُ بابي إليكَ
ومفتاحُ بابي إليكَ.
سأقولُ الحقيقة، ولا شيءَ غير الحقيقة:
منذ ذلك اليوم الذي تبلَّلْتُ فيه ناديتَني:
هِيبي، أنتِ، أيَّتُها المُعشوشِبة.

سأدلُّكَ إلى الطريق

سأدلُّك إلى الطريق، اتبعني،
سأدلُّك في الطريق.
عبر الكهوف، والممرّات، ومتاهات الأسئلة.
سأمشي أمامك،
مثل شمسٍ تسير ويتبعها كلُّ شيء،

سأمشي أمامك.
عبرتُها مئات المرّات،
تلك الغابات التي لا تنام، بكائناتِها: ناجيتُها كلّها.
وتلك الصخور التي تصعد ثمّ تهبط ثمّ تجرح من يستهين بقسوتها: جرَّحتني كلّها.
وتلك السهوب التي تركضُ فيها خيول الحقيقة.
سأدلُّك على الطريق، سأدلُّك في الطريق، اتبعني.
عند أوّل الحقل، ستضربنا صعقة الموت، لا تخف!
سنصحو آخرَين، لسنا نحن ولا نعرف من سنكون بعد هذا الطريق.
عند منتصفه، ستغسلنا يد إلهيّة بالعتمة التي لا بدّ منها.
وفي آخره، سنعود إلى نقطة الصفر، حيث لا أنا أنا، ولا أنت أنت.
سأدلُّك بعد الطريق،
الطريق الذي التفّ مراراً حول نفسه، حتّى ظنّ بأنّه خاتم بيد الحياة، ولم يكن سوى جسرها.
سأدلُّك.
أنا قطعته ألف مرّة، وضعتُ فيه، إلى أن سحبتني يد إلهيّة، ربّما، من يدي،
وصدّقتْ رغبتي في الجفاف من الدمع، ورفعتني إلى سدرة المنتهى، ربّما.
أنا قطعت الطريق،
وفي سقوف الكهوف التي نمتُ فيها، تدلّتْ حبالٌ، تركتُها لك.
وعبر الممرّات التي سرتُ فيها، مشت ينابيع ماء أثيريّة،
سوّيتُ قيعانها لأجلك،
أمّا متاهات الأسئلة، فتلك لها أسرارها، لا يفكّها سوى أنت.
فاستدلَّ بي إليكَ، أيّها الشِّعر،
يا صديقي الذي لا قَبله ولا بعده.
أنا وصلت،
فأين أنت؟

أهديتَني حقلَ رُمَّان

أهديتَني حقل رُمَّانٍ، وكلُّ الهدايا منك.
وأنا قبلتُهُ، وسرحتُ فيه، وطوّقتُهُ بالسناسل لأجلك.
أنت تعرفني، وأنا أعرفك،
إلَّا أنَّ جلالك أوسع من رقَّتي،
وكلامك أعلى من شجرتي.
اليوم سأعصرُ الرمَّاناتِ وأشربُ نخبكَ في حقلي هذا،
وأكتبُ عنك، لأنَّني لا أستطيعُ أن أكتبَك،
فالشعر قشرة التجربة، بياضُها في اللَّيل، سوادُها في النهار، وألوانُ طيفٍ سبعةٌ فقط،
إنَّهُ الشكلُ والصوتُ والظلُّ، ولا شيء أكثر، لهذا غيّرتُ مقولتي فيه،
مثلما أنَّني غيَّرتُ مقولتي في نفسي: إنَّها وعاءٌ فقط،
تضعُ فيها من نوركَ فتضيءُ، أضعُ فيها من عتمتي فتنطفئ.
أمَّا أنت فحقلُ الحقول، وهذا الحقل الذي هو كلُّ ما أملكُ، لك،
مثلما أنَّني طوعُ أمركَ:
تُقرِّبُني أنجلي، وتُضيءُ حبَّاتُ النمشِ في وجهي على مرآةِ وجهكَ،
تُبعدُني أتكسَّرُ مثل الحشائش في ليل آب.
ألا ترى أنَّني لا أُمسكُ شيئًا منك إلَّا وأدركتُ أنَّهُ منك ولكن ليس أنت؟